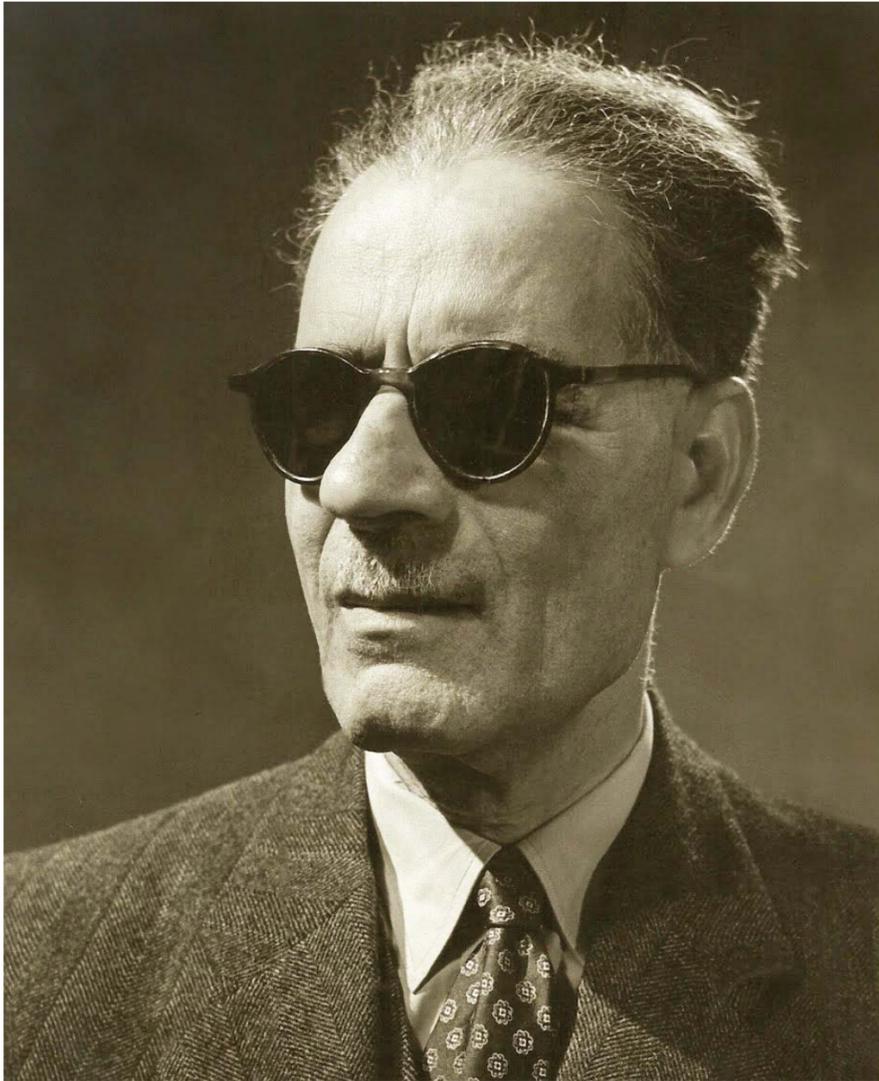


بعد ثمانين عاما.. جدل جديد حول أفكار عميد الأدب العربي

المؤرخ المصري خالد عزب يتساءل: هل فسّر طه حسين القرآن؟



طه حسين واجه الأزهر وجدد خطابه

فهاهـة وعجزاً. هذا الكتاب يتشابه عليك كما يشابه مكنون الدرر وسواطع الجواهر، إلا أن الله تعالى بارئته المنقذ، وبارعه القادر المتكمن، قد جعل في بجره الواسع فُرْصَ أمان، ووضع في مسالكه نَقَطَ تَجَمُّعٍ ومراكزَ التقاء، تنويراً وتقريباً وزخرفاً، تمتيعاً للحواس وترفيهاً عن الغرائز، وتركيراً للمعاني، فهي جوامع الكلم في كتاب الله، ومعاهد الجمال والقوة والأصالة بين ثريات عقده الفريد.

وإن جوامع الكلم في القرآن تُشعِّع فيه بَيمَةً ويسيرة، وتتخلل تقاسيمه قلة وكثرة، فهي الفواصل بين مبانيه والمرتكز إلى أوجعانيه، فيها تركز القوة حين البأس، ويتجسّم العفو في مجال العفو، والعدل في موضع العدل، ومنها يُشعُّ الصوّ حين يلمس الصوّ، ويرتمي الظل حين يفتقد الظل، فيها القصد كل القصد حين يطلّب القصد، والبسط كل البسط حين يرام البسط.

منها ما يقع فيما أوردته القرآن من قصص عظيم، ومنها ما يرد فيما ضربه القرآن من مثل حكيم، ومنها ما ساقه الله تعالى في ما ساق من وصف قدرة الخالق وطباع الخلوقات، وما ناط به نظام الحياة من روابط وضيوابط وشرايح ومنهج، وما أشاعه فيها من حُوسٍ وسعودٍ ومأسٍ ومباهج.

وإن جوامع الكلم في القرآن لما يجل الحصر عنه ويتضخّص الفكر دون الإحاطة به، والاستطلاع في بعدي أغواره، ولئن يكن جميع ما تنتقل به في هذا المقام هو من جوامع الكلم إلا أنه قلة بإزاء كثرة اعتراف بقصوري عن الإحاطة بها في مثل هذا الكتاب، وإعجازها لما يتاح لي من الاجتهاد في هذا الحيز، وحسي توفيقاً أن أتمثل ببسورها دون كثيرها فاستطيع التبين ببعض ما وسعه مقدوري من المثل واستجلاء بعض ما يُقضي حاجة المحتاج من السبل.

ويذكر أن الحلقات القادمة لعزب سوف تتناول: تكنولوجيا المعلومات والنكاه الرقمي والمدن التراثية والنقد الأدبي والمخطوطات ونواورها وكذلك الجديد في عالم الكتب، وسيطرح البرنامج كذلك قضايا اللغة العربية والجديد في الثقافة العالمية، كما سيستعرض المعالم الأثرية والعلمية لعدد من الدول.

هو في واقع الأمر معجزة كلامية مبنية ومعنى، متوهجة بطران من الإنشاء، يُسمو إلى الكمال الملق، تعجز مقدره أهل البيان عن مجاراته، وتعجز المعية الفصحاء عن محاكاته، ويروخ بهم العجب من هذا السَّسِقِ الجديد الجامع المناسج، الخاطف اللامع، الذي يوائمه هُوي النفوس بما يرد منه في أعماق القلوب، ويملا الأسماع والأبصار، ويستقر من الأذهان في القرآن.

كلامٌ هو السَّحْرُ المبين وإن يكن له ألف مثل الكلام وباءً.

هذا الكتاب الذي هو حشد كامل من باهر الكلم، مُطَّل على أجواء البيان من سموات الكون، مُطَّل على اجزاء البيان من سماوات تعلوها حتى لتتحكك فيها، منساج على مالوف الفصحاء، والبُلغا، حتى ليحيل فنون الكلام في أفواههم عينا، ويصير صناعتهم في القول العرب.. وغيرها.

وقدم عزب نبذة عن مقدمة الكتاب تتمثل في قول طه حسين:

«القرآن كتاب سماوي تنزل من عزين حكيم، وهو نطق الهيّ سام صادر إلى البرية جمعاء، على لسان نبي عربي في بلاد كلالها عربي، فلا غرابة أن يكون القرآن عربياً يوائم منطق الناس الذين نزل فيهم، ويُشاكل بيئتهم، ويُعبر عن الأشياء بمثل تعبيرهم فيستقر في أفهامهم لئلا يكون لهم فيه عذر.

غَيْرَ أَنَّ القرآن ما كان له إلا أن يسمو على كلام الناس، فإن بارعاً هو الله الخالق البارئ المصور، والماهر البارع المقتدر، الذي لا يُصدَّر عن كماله إلا كمال مثله، ناهيك بأن الله تعالى أراد أن يكون القرآن معجزة تفوق قدرة البشر، كما أنه جل جلاله قد حَضَّ السابقين من الرسل بمعجزات تثبت نزول الرسالة عليهم من لدته، فكما أن موسى أقصد بعصاه سحر الساجدين، وعيسى كلم الناس في المهدي وأحيا الموتى، فإن محمداً الأُمِّي جاء إلى قوم شبيمتهم الفصاحة وبيضايتهم البراعة في صوغ الكلام، نظماً ونثراً، بكتاب من صميم لغتهم حيز منهم الآليات وأطوار الصواب، في نسج لا قدرة لهم عليه، ومزيج لا عهد لهم به، وأريج لا علم لهم بغيره، وشراعان ما يتبينوا أن القرآن

من علماء الأزهر ومشايخه ومنهم الشيخ المراعي الذي تبادل معه الرسائل وغيره». وبلغت إلى دفاع حسين عن ثقافته الإسلامية إذ يقول "وما أنا بالمتعصب ولا بالمتعنت، فقد ثققت من الأدبان أدابها، ووعيت فلسفاتنا، واختلقت إلى معادبها، وتذوقت نماراً طيبة على فروع أشجارها، بل اصطفيت لنفسي من أهلها من القرآن والقصص القرآني، ووضع المرأة وددت، على راحة في دخيلة القلب".

بلاغة التقديم

يوصل عزب على مدار 30 دقيقة، الكشف عن الرؤى والأفكار والقضايا التي طرحها حسين في الكتاب، ومنها لوقوفه على الإعجاز اللغوي والجمالي للقرآن والقصص القرآني، ووضع المرأة في الحضارة الإسلامية ومقارنته مع وضع المرأة في الحضارة الرومانية في الغرب.. وغيرها.

وقدم عزب نبذة عن مقدمة الكتاب تتمثل في قول طه حسين:

«القرآن كتاب سماوي تنزل من عزين حكيم، وهو نطق الهيّ سام صادر إلى البرية جمعاء، على لسان نبي عربي في بلاد كلالها عربي، فلا غرابة أن يكون القرآن عربياً يوائم منطق الناس الذين نزل فيهم، ويُشاكل بيئتهم، ويُعبر عن الأشياء بمثل تعبيرهم فيستقر في أفهامهم لئلا يكون لهم فيه عذر.

غَيْرَ أَنَّ القرآن ما كان له إلا أن يسمو على كلام الناس، فإن بارعاً هو الله الخالق البارئ المصور، والماهر البارع المقتدر، الذي لا يُصدَّر عن كماله إلا كمال مثله، ناهيك بأن الله تعالى أراد أن يكون القرآن معجزة تفوق قدرة البشر، كما أنه جل جلاله قد حَضَّ السابقين من الرسل بمعجزات تثبت نزول الرسالة عليهم من لدته، فكما أن موسى أقصد بعصاه سحر الساجدين، وعيسى كلم الناس في المهدي وأحيا الموتى، فإن محمداً الأُمِّي جاء إلى قوم شبيمتهم الفصاحة وبيضايتهم البراعة في صوغ الكلام، نظماً ونثراً، بكتاب من صميم لغتهم حيز منهم الآليات وأطوار الصواب، في نسج لا قدرة لهم عليه، ومزيج لا عهد لهم به، وأريج لا علم لهم بغيره، وشراعان ما يتبينوا أن القرآن

في ثلاثينات القرن العشرين كان صدور كتاب "في الشعر الجاهلي" لعبيد الأدب العربي طه حسين، بمثابة زوبعة خلخلت كل الثوابت في الساحة الثقافية العربية، حيث قدم نقداً جريئاً للأدب العربي القديم، قوبل بمعارضة شديدة وصلت إلى حد سحب الكتاب، وفصله من الجامعة كرئيس لكلية الآداب. هذا الجدل لم يتوقف مع أبرز أدباء العرب في القرن العشرين، بل استمر مع مواقفه الدينية، التي بلور أهمها في كتاب مجهول له لم ينشر سابقاً حاول فيه تفسير القرآن.

محمد الحماصبي
كاتب مصري

أطلق الكاتب والمؤرخ المصري خالد عزب قناة "ثقافة وكتب" على اليوتيوب، مستهدفاً من خلالها نشر المعرفة والثقافة والتراث عبر عدد من الحلقات التي تذاق تباعاً، وقد بدأ بحلقة عن كتاب لم ينشر لعبيد الأدب العربي طه حسين، وهو كتاب "دنيا القرآن"، الذي اكتشف أخيراً لدى أسرته، ويمثل تفسيراً موضوعياً للقرآن الكريم، بدأه طه حسين. وفقاً لعزب -بمحاضرة سنة 1943 في جمعية الشبان المسلمين في الإسكندرية، ثم وعد بان يعدّ تفسيراً للقرآن.

يقول عزب إن الكتاب تميز بأسلوبه الرصين الذي ينساب عنودية وسهولة بالفاظه المسجوعة ذات النغم الموسيقي الأخاذ، فيأتي في سياق الأسلوب الذاتي الذي كان عليه أسلوب طه حسين، ويكشف مضمون هذا الكتاب عن الفترة الزمنية التي ألف فيها، وهي منتصف الأربعينات من القرن العشرين، وجاء بعد تأليفه لكتاب "مستقبل الثقافة في مصر".

لامع الأزهر ولا ضده

يشير عزب إلى قول طه حسين في مطلع كتابه إنه "الإمامة ببحوث قرآنية أحسست أن المسلمين بحاجة إلى تدبرها والإضافة منها في معمعة الانقلابات الكبرى، التي تجتاح العالم في أعظم معتراكاته وأغلظ أزماته وأوغر مفاداته".

ويضيف أن الكتاب يطرح عدداً من التساؤلات عن فكر طه حسين: هل كان يمثل الرجل المحافظ الذي له ولاؤه للتراث العربي الإسلامي، أم أنه من رجالات الاستشراق وتلامذتهم، وكان مرتعياً في أحضان حضارة الغرب متشككا في ثوابت دينه، ومصطلها برجال الدين في الأزهر؟ مقرأ بان طه حسين في حقيقة الأمر لم يكن هذا ولا ذلك، إذ كان يعبر عن ذاته ومواقفه وعن رؤيته للإصلاح داخل المؤسسة الأزهرية، لذا لم يكن ناقداً للأزهر فقط، ولكنه كان ناقداً للجميع، وكان نقده في عنقوان شبيه حادا، وحينما رسخ وثبت وتمكن من أدواته بدأ يقدم إنتاجاً فكرياً أكثر عمقا.

ويؤكد عزب "بدا حسين في هذا الكتاب متفانلاً بان يتحقق الحضور الحضاري للثقافة العربية الإسلامية، فهو يقول في الكتاب: وليلعلم من أصابهم الوهن من قادة المسلمين أن الإسلام يرتقي الآن من جديد هضبة الصعود نحو القمة، كما هو حقه الذي ظهرت دلالاته وسطعت براهينه وطال انتقاره، والويل لمن وقف منهم في سبيل هذا الصعود واعترض هذا المحتوى المحتوم، وحذري لم يقترف هذا الإثم العظيم من وبال يوم مقسد".

ويوضح أن حسين في كتابه يدافع عن الأزهر فيقول "وأي الجامعات أعظم من الأزهر وعرق تاريخاً وأبعد أثراً وأقوى نفوذاً، وأي العلوم أغزر من علوم الإسلام وأبلغ منها درساً، وأي الفنون أزهى من فنونه وأكثر منها جلالاً".

ويحدد عزب المواضيع التي امتدح فيها طه حسين الأزهر ورجالاته ودوره الإقليمي والعالمي، وقال "إن موقفه من الأزهر الشريف أنه قلعة للعلم والعلماء والتراث العربي الإسلامي، ولكنه كان ضد المدرسة التقليدية التقليدية، وكان مع تجديد الفكر وإدخال التحديث في الأزهر، وهو ما حدث لاحقاً، كان في تلك الفترة يرتبط ارتباطاً وطيدة مع عدد

مفكر هندي ينتقد الصورة النمطية للحضارة الإسلامية

القاهرة - يوماً بعد يوم تترسخ النظرة النمطية إلى الحضارة الإسلامية سواء من الآخر أو من المسلمين أنفسهم، على أنها حضارة عنف وقتل ودمار وتعصب، بينما الحقيقة عكس ذلك، حيث قدمت هذه الحضارة للبشرية الكثير من المنجزات الحضارية الهامة في الفكر والفلسفة وعلوم اللغة والعلوم الصحيحة والطب والفنون والآداب، وغيرها.

تخلص هنا إلى سؤال: كيف نخاطب الغرب حين نقرر أن ننحدث عن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية؟ سؤال لا تكف عن طرحه دون أن تتمكن من تقديم إجابة شافية أو الدفع بحجة مقنعة، وهو السؤال الشائك الذي يطفو على السطح كلما طرأ حدث أو نهضت واقعة تسيء للثقافة العربية والعقيدة الإسلامية وبخاصة في العالم الغربي وأخرها دارت رحاها قبل أسابيع قليلة، ثم ما لبثت السؤال أن يخمد والإجابات أن تتحضر مع انقضاء الواقعة المسيئة أو انطفاء الحدث.

يغدو السؤال أصعب حين نغير قليلاً من وجهته لنوجهه إلى ذاتنا، كيف نخاطب أنفسنا قبل الآخر، نحن ورثة هذه الحضارة ومعنتقي هذه العقيدة، وقد انفصلنا عن تاريخنا مكتفيين بقشور غالباً ما تصلنا من أشخاص ليسوا بالثقافت ومن جهات يحركها الغرض السياسي والوجهة الأيديولوجية والفكر الغائي؟

ربما يمكن جزء مشيع من الإجابة عن هذا السؤال الشائك في كتاب ومرجع استثنائي، استطاع أن يفتح عيون العالم الغربي مبكراً على التاريخ الحقيقي للحضارة العربية، وأن أثبت أن "التمدن الإسلامي" راسخ في عمق تاريخ الإنسانية، من قبل أن تخرج أوروبا نفسها من الظلمات إلى النور مسترسدة بانفكار فلاسفة مهمين متأثرين بالفيلسوف العربي ابن رشد.

الكتاب ينقد التصورات النمطية للحضارة الإسلامية ويقدم الصورة الصحيحة للعرب والمسلمين عبر الفكر

هذا الكتاب هو "مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي"، للمؤرخ والمفكر الهندي السيد امير علي (1849-1928)، والذي صدر أخيراً عن "الدار المصرية اللبنانية" بالقاهرة في طبعة جديدة محررة ومدققة، وترجمتها كاملة ضمن سلسلة "الكلاسيكيات"، مساهمة منها في دحض الحجة بجحج، وتقديم الصورة الصحيحة للعرب والمسلمين عبر منتج فكري استثنائي تدعمه الوثائق والمعلومات والحقائق، ولا يصدر عن هوى أو يؤسس نفسه دون هوية.

يقول امير علي "أريت أن السبيل الوحيد لفت انتظر الغربيين واكتساب تعاطفهم واستشارة اهتمامهم، هو أن أتقدم بهذا الكتاب الذي لن يكون



الإسلام بني مدنا متحضرة (لوحة للفنان نجيب بالخوجة)